هل يمكنُ أن نحبَّ يومَ الثُّلاثاء؟

مجموعة قصصية

طارق رمضان



2013

هل يمكنُ أن نحبَّ يومَ الثُّلاثاء؟

مجموعة قصصية

تأليف : طارق رمضان

الطبعة الأولى : ٢٠١٣

رقم الايداع : ٢٠١٣/٧٩٨٤

الترقيم الدولي : ٩٧٨-٩٧٧-٦٤-١١-٧٦-٩

الإخراج الفني: محمد غريب

mohdghrib@gmail.com

لوحة الغلاف للفنان: Anatole Krasnyansky

تصميم الغلاف: منار عبد الرحيم



دار روعة للطبع والنشر والتوزيع

المدير العام: هبة الشرقاوي

هاتف: ٠٠٢٠١١٤٠١٧٨١٤٤

darrawaa@yahoo.com

إهـــــداء

إلى مصابي «ثورة» 25 يناير

.

.

إلى أولئك الذين فقدوا أعينهم في سبيل أن يَرَوا الحياة أفضل

.

.

إلى مصطفى رمضان

***

فتحَ الجرَّاحُ قلبَ العابدِ/ العاشقِ

فغمرَ النورُ المكان..

ارتعشَ المشرطُ في يدِ الجرَّاحِ

واستقرَّ في قلبِهِ شيءٌ يقول:

"إنَّ المحبَّ للمحبِّ في شوق

فلا تقطعْ لقاءَ المُحبين"

***

أنَا مِن أهْـوَى

في البدءِ كانت تهذي

فمنعها الخروج

عَكف على سريرها يتابع كلَّ خلجة تصدُر عنها وهي نائمة

حتى تقيَّأت

وأكَّد الطبيبُ الوساوس!

***

موعدي معها\ في المساء\ حبورٌ يحتويني

طيفٌ تجسد.. وصلٌ بعد شوقٍ ومناجاة!

عندما بدت أحيت عيني برؤيتها، لما كان يشرح وأنا سارح في ملكوتها اللانهائي.

اقتربت.. كلمتُها.. أعطيتها دفتري الأخضر-تراه بين يديها الآن؟-

وغابت.. غبتُ.. في خُلوتي الليلية كنت أناجيها حتى تجلَّت

ثمل قلبي ولم أحكم لهفة الجسد!

***

رانٌ على رانٍ تراكم على عقله وقلبه مذ انتقلا إلى المدينة

هكذا فكَّر

وحيدٌ مع وحيدته

نداءُ بداوته يصم أذنيه

بالسكين يقتل حنانه

الدم يربطهما

الدم يفرقهما!

نزيفُ قلبه ضعف

نزيفُ قلبها رجولة

يبحث عن نصفها الآخر بين ثنايا هذا الدفتر الدخيل!

***

هذا المساء: انطلقتُ إلى خلوتي مبكرًا فلم أعد أطيق بعدًا.. طرقٌ بالباب.

أنفاسي الحارة تستدعيها.. ضباب.. أناجيها.. طرقات الباب تتعالى.. صورتها تبهت.. تتبخر.. أحاول جمع جزيئاتها.. الباب يُفتح.. رجل يشبهها..

جزيئاتها تتصاعد.. تشفّ

أخفّ.. أطير.. أخضرُ دفتري اختلط بحُمرة

جزيئاتها تتشتت

أتشتت

غبارًا ينفذ

ذراتٌ تتسلل من بين ثنيات الشيش المغلق

إلى السماء!

أربعاء من فبراير

خطواتٌ على سَبيلِ الأمانة

- تبًا لتلك الرائحة الزكية!

الحرير الأخضر الزاهي البغيض ممتعُ في تحسسه، فكره المنزلق في قاع ذاكرته المهجورة يتعثر في كلام الطبيب البارد: لقد تأخرتم، اِرضَ بقضاء الله واجعله يتقبل وضعه هذا.

تنقذه صرخة أحدهم: حيّ

نظرتُه المتأملة المتعمقة تخترق الحرير والديباج وتصل إليه. راقدًا سليمًا كان. لحيته البيضاء إكليل فُل ينير وجهه الباسم. الحقد يغلي في مراجل قلبه فيشرع في تنفيذ ما انتواه: يرفع جلبابه ترابيَّ اللون مديرًا وجهه يمنة ويسرة، حريصًا على ألا يترك ذرة في المكان لم تنلها آثار بوله المنساب مريحًا إياه!

- أريد أن أدخل وأملِّس على سيدنا.

- ممنوع يا شيخ.. ممنوع.

يخرج معيدًا المفتاح لعم درويش المنهمك في منع أحد المريدين من الدخول إلى الضريح.

يُوقفه عم درويش فيضطرب، لكن الرجل يربت على كتفه في رثاء فيمضي بسرعة قبل نزف عينيه! يراه بعض المادِّين أيديهم من خلال قضبان الكُوة المطلة على المقام، بين قارئ للفاتحة، وداعٍ، ومتوسل، ومَوْتور يطلب الويل والجحيم لأحدهم!

- إنه يشبه سيدي المناوي.. آه والله!

- إنه مختار ابن سيدي.

- يا سي مختار.

يزداد مقتًا على مقت، ويلقي بالتلفيعة لتغطي نصف وجهه.

-تعالَ توسَّط لنا عند سيدنا.

يُسرع الخطى مودعًا إياهم ببصقة حملت كل حقده!

***

في طريق عودته يحكم وضع التلفيعة، لكن النساء اللواتي يغلسن على التُّرعة عرفنه وتهامسن.

- ادعُ لي أخلّف يا مختار يا ابن سيدي.

ترد أخرى باستهزاء:

- كان الـ...... نفع نفسه!

ويتضاحكن.

يعدو فارًا إلى داره.

- أبويا.

يستقبله ابنه مخلِّفًا وراءه آثار زحفه على تراب الدار؛ فيمنع نفسه -بصعوبة- من ركله!

تخرج من غرفة النوم وتبادره:

- تذكرت للتو أن لك زوجة وابنًا؟!

يتخطاها إلى الداخل نازعًا التلفيعة والجلباب.

- كل يوم تسهر مع أصحابك الفاسدين...

أنفاسه تتصاعد في غضب مع ارتفاع صوتها : ابنك

امتنع عن الذهاب إلى الكُتاب.

- اتركيه وما يريد.

- عندما تزوجتك حسدني الناس، واعتقدتُ أنني تزوجت ابن سيدنا المناوي.. من سار على الماء، لكن...

صفعتُه القاسية جمدت كلماتها وأسالت منها الدماء!

****

- أمي.

يصرخ بها ابنه فيتراجع كارهًا كل شيء. يرتدي جلبابه ويخرج. يسيرُ بلا هدى حتى يسمع النداء: مختار يا ولدي.

يلتفت ليرى الشيخ «هدهود» صديق والده متكئًا على عصاه

- تعال يا بني.. خذ بيدي.

يتردد؛ لكن منظر الرجل المتهالك ونداءه المِلِحَّ «تعالَ يا ولدي» لا يتركان له فرصة. يمسك بيده ومشهد الشمس الحمراء الغاربة يسحب من داخله دخان الغضب الأسود.

يجلس الرجل على مصطبة أمام داره ويدعوه للجلوس.

- أبوك يا بني كان وليًا.. صعد الدرجات حتى وصل. أذكر أيام الجدب.. لجأنا إليه فنزل المطر سيولاً! ولعلك تذكر مُهرة الحاج مسعد لمَّا اشتكت له سوء معاملة الكلّاف وتجويعه لها. ذي كرامات الأولياء يا بني.

قارب صبره حد النفاذ مع حديث الرجل المتواصل: كان يأمل أن تحفظ القرآن في الخامسة مثله، لكنك كنت دائم الهرب من

الكُتَّاب. أتذكر أنني لم أكن أستطيع تأديبك بالفلكة مثل سائر الأولاد.. كنت دائمًا تحب اللهو واللعب...

- هل تريد شيئًا يا عمي الشيخ؟

قالها وهو يهم بالقيام.

- اجلس يا بني.. في الحقيقة.. أبوك ترك معي أمانة أخاف أن أموت قبل أن أفي بها.. خذ (يُخرج من سيالته مفتاحًا) هذا مفتاح الصندوق الكبير في غرفته المغلقة.. كل ما فيه يخصك.

بملل يتناول المفتاح: وماذا في الصندوق؟ كنز؟

- إنه كنز فعلاً.. لكن من نوعٍ آخر! إن كتب الشيخ ورسائله ووصاياه وشرح طريقته في هذا الصندوق.

تصدر عنه ضحكة لا إرادية هازئة. ينهض قائمًا والرجل يناديه بلا جدوى.. بأقصى قوة لديه يقذف بالمفتاح إلى الأفق البعيد!

***

يعود لبيته فلا يفاجئه غياب زوجته وابنه. بعزم يركل باب حجرة أبيه المغلقة منذ وفاته. تستقبله الرائحة الزكية ذاتها.. رائحة أبيه، والحضرة مع مجاذيبه وترديديهم لترهاته طوال الليل، وهربه منهم إلى حضن باتعة المفنوح دائمًا. في صغره كان يهرب إلى قبر أمه الكروي وسط الرمال، ويتذكر لمحات من كلمات أبيه لمريديه عن القبر الذي يشبِّهه برحم الأم، ويتخيل الأرض امرأة حبلى ستنجب كل ما بداخلها يوم البعث.. يوم

الولادة! ثم هروبه في صباه إلى صديقيه عوض ابن العمدة وعثمان ابن الشيخ هدهود.. الشيخ هدهود! بثورة يهجم على ميراث أبيه مريدًا إلقاءه خارج البيت، لكن الصندوق الضخم يأبى ويخذله. يخرج هاربًا من الرائحة التي تعبق المكان!

يتلفت حوله.. يتأمل مسبحة أبيه الضخمة المعلقة على الحائط اللبن. تطالع خياله صورة ابنه داخلها بابتسامة وجهه الذابلة التي تجعله يكمل الصورة بساقيه العاجزتين! يلطم المسبحة فتقع على الأرض التي كنسها الولد زحفًا. بين الخوف والرجاء يجرب اللعبة التي ملَّ فشله فيها: يركز في المسبحة.. يحلم.. يتمنى.. يرجو.. يطلب.. يأمرها أن ترتفع عن الأرض، يستجمع كل قواه الداخلية المنهكة في همٍّ واحد.. شوقٍ واحد.. يأسٍ واحد. تتصاعد أنفاسه الجحيمية. يصرخ مع تدافع المياه من عينيه: اللعنة على كل الكرامات والمعجزات.. اللعنة عليك أيها التيهان زهوًا بحديث الناس عن كراماتك، وإنشادهم لذكرك، والضريح المُوشى بالديباج، والمجاذيب على بابك، والمتوسلين بك.. اللعنة عليهم جميعًا! لم يذكروا إنقاذي جاموسة أم ابراهيم وهي تلد بعد أن كادت تفطس! لم يعلقوا لي الرايات ويتحاكوا باسمي ويتبركوا بذكري قبيل تأدية أعمالهم، ولم يقيموا من أجلي الليالي على نقر الدفوف ويهبوا لي العطايا والنذر. يريدون معجزة؟ اللعنة عليهم وعلى المعجزات!

يهرع إلى الزريبة. يجد حماره يعاني الوحدة والفراغ. يقترب

منه. يمسك بأذنه الطويلة ويناجيه: أنا مختار.. مختار.. ابن مولانا المناوي.. المناوي.. هل تذكره.. هل تسمع.. هل تفهم؟!

يُدني أذنه من فم الحمار ويكمل بلا كلل: أتذكر المناوي؟ أنا ابنه.. تكلم أنا أسمعك.

يباغَت بنفرة تملأ وجهه رذاذًا يأتي على بقية صبره؛ فيمسك العصا الخيزران وينهال على ظهر الحمار الذي ينهق ألمًا.

- تكلم.. تكلم.

****

يسحب بكل مسامه هواءً يختلط بما في صدره من دخان لينفثه غيومًا زرقاء، مشعلًا حجر الجوزة الذي ألهب حماس ندمائه المستحسنين:

- الله.. بركاتك يا مختار يا ابن مولانا!

- هكذا يكون الشد وإلا فلا.

يريد أن يضحك لمديحهم فيختلج ضحكه سعالًا يحمرُّ له وجهه!

يقوم ليعلن بفخر: خمسة وعشرون من الحجر المغمس في ساعة! هل يستطيع فعل هذا إلا وليّ؟! أنا مختار أقوى رجل فيك يا بلد!

يستفزه عثمان: نريد أن نرى رجولتك في الميدان الحق.

يصرخ عوض الذي فهم ما يريده عثمان: أرنا شطارتك يا أبا الرجال!

يتساءل بصوت ملؤه حزن السكارى: أستطيع فعل أي شيء بعيدًا عن إنزال المطر والحديث مع البهائم وكل هذه الهراءات.

يضحك عوض: لا، لا تخف.. نريد فقط أن تثبت رجولتك أمام باتعة!

- باتعة الفاجرة؟!

عثمان بخبث: نعم.. تعلم عادتها بفضح كل ضعيف لا يثبت أمامها!

يضحك في شماتة ناظرًا لعوض: أذكر يومَ تجرأتَ عليها، فخرجتْ هي تلطم صارخة: يا خسارة الرجال.. يا عوض يا ابن العمدة!!

يكفهر وجه عوض: أرنا ماذا ستفعل معها يا وحش!

يقفان فوق الجسر على مقربة من بيتها، ويقترب هو مدعيًا العزم والحماس حتى يصل للباب. يدقه في قوة مصطنعة. يُفتح فيدخل وتردُّدَه مردِّدًا: أنا مختار...

ويكمل في همس: ابن المناوي!

****

رشفة واحدة وتفرغ زجاجة النبيذ. يسير مترنحًا تلطمه أوراق الذرة الطويلة. يعبر الطريق الأسفلتي إلى النيل. يمنح البلد من خلفه نظرة غائمة. يراها وقد غطاها الظلام ونامت على إيقاع النقيق الرتيب. هواء بارد يلفح وجهه محاولًا إفاقته. يلقي بالزجاجة فيسمع صوت تحطمها. النسمات المنعشة تدير بصره

تلقاء القرية من جديد. النقيق يتصاعد.. يغدو دقات دف نزقة. الكل يتمايل على الإيقاع مطوِّحًا رأسه يمنة ويسرة. الكل متقدمٌ نحوه.. يحملونه ودقات قلبه تسابق دقات الدف اللعين. يصلون لضريح أبيه المقام حوله الزينات والأعلام. يُنزلونه برفق على الأرض في وضع الرقاد ويقترب أحدهم صائحًا: مدااااد، ويُخرج سكينًا لامع النصل من سيالته. يلمحها فيفر هاربًا. يرى زوجته تصرخ وابنه يستغيث، والشيخ هدهود يناديه، وعم درويش ما زال ينظر في رثاء، بينما عوض وعثمان وباتعة يضحكون في استهزاء، ونساء القرية ما زلن يتهامسن. مع حركة الجميع وجريهم نحوه لا يتردد. يهرب ناحية النيل غير عابئ بالدماء التي سالت من قدميه. يخوض في المياه وضجيجهم المقترب يتصاعد مع انبعاث تلك الرائحة الزكية. يخترق كل هذا صوت الطبيب اليائس: "ابنك يحتاج معجزة"! فيخوض أكثر وأكثر. لا يشعر بالبلل. تُذهله المفاجأة.. يجري فاردًا ذراعيه ناظرًا لأعلى في ضحك نشوان.. صارخًا في الجميع:

- يا بلد.. يا بلد.. ها أنا أسير على الماء يا بلد!!

ثلاثاء من نوفمبر

***

يسير وحيدًا في الميدان..

يرى أحدهم يمسك بيد فتاته فيتحسس يده اليتيمة.. يرى أمامه رجلًا يحمل طفلته فيداعبها حتى تضحك.. ويبكي!

يسمع الأذان فيدخل المسجد، وبعد الصلاة يسأل الشيخ:

لو يعني..لو..دخلنا الجنة..و..واتجوزنا الحور العين..هيبقى لنا منهم أطفال؟!!

***

تَبَــاريــح

إنني أراه. ها هو يدخل المنزل الذي طالما تردد عليه. يصعد السلم الذي حفظ خطواته. وأمام باب الشقة يمد يدًا متحمسة تضغط زر الجرس. يُفتح الباب فيجد.. يجد الأب.

نعم، الأب. دائمًا ما كان يفتح له، ولطالما استقبله بحرارة حتى قبل أن يلقي السلام: أهلاً، اتفضل يا بني. ويدخل معه إلى حجرة الصالون. هذه المرة لم يفعل. جمَّدته المفاجأة، وبعد أن صدق عينيه غاب لحظات بالداخل. بالتأكيد ألقى عليهم الخبر فتباينت ردود أفعالهم. أستطيع أن أخمنها.. تصدر عن الأم شهقة عظيمة: وده عاوز إيه تاني؟!

ويبادر أخوها المراهق: سيبوني عليه! وتضحك أختها الصغرى الشقية بلا معنى. أما هي.. هي.. فتلمع عيناها ويدق قلبها لكنها ستُواري فرحتها مدعيةً الذهول.. ربما!!

- هو ليه حق عندنا؟ (يسأل الأب بصوته الخفيض)

- كسر حُقه! (تجيب الأم بصوتها غير الخفيض)

يحاول الأب تذكيرهم: الهدايا.. خدها كلها؟

تتسرع الأم كعادتها: أيوه، هو لسه فاكر؟

تتذكر هي: الدباديب.. يمكن جاي عشانها!!

وماله يا بنتي نرجعهاله.

بس أنا اديتهم لاصحابي في أعياد ميلادهم!

يعود الأخ الذي يتمنى تطبيق دروس الكونج فو عمليًا: انتو بس سيبوني عليه!

الأب الذي يفضل الحلول السلمية يطالبهم بالهدوء، ويخرج إلى الباب فلا يجده. لقد أخذ مكانه المعتاد في حجرة الصالون.. على نفس الفوتيه!

- لا مؤاخذه يا عمي أنا مش غريب!

يُفاجأ الأب الذي يلفت انتباهه الهدية الموضوعة على الطاولة.. إنها أكبر من أي هدية أحضرها من قبل!

- خير يا بني؟ (يقولها الأب بتردد)

- خير يا عمي. سامحوني، كنت مشغول الفترة اللي فاتت والله.

الأب بين ذهوله وصمته تخرج منه "نعم؟!" حاملةً كل علامات الاستفهام والتعجب التي تملأ رأسه!

- أيوه يا عمي.

هذه المرة تحدَّث.. تحدَّث كثيرًا -على غير عادته- عن الصعاب والمشاكل التي ستُحل، ومطالبهم التي سيستجيب لها، والزفاف الذي سيكون في موعده! و... يريد أن يسأل عنها.. لقد اشتاقها كثيرًا!

خلال حديثه يرى نظرات الأب تتحول رويدًا رويدًا من الدهشة إلى.. الشفقة! ذلك الشعور البغيض!! ويلمح في نصف وجه الأم البادي من خلف الباب نصف المفتوح نصف رثاء! يجدهم

يدخلون: أختها تكتم ضحكتها المعتادة، والأخ المتحمس يفتر حماسه. يجدها وفي أصبعها دبلة، لم يكن يدري ساعتها أنها لا تحمل اسمه، وتتزين بحُلي لم يشترها!

يشعر بالدهشة.. كانت تأتي وحدها حاملةً أكواب العصير، ويتركهما الأب وحدهما.. و... يبتسم للذكرى، لكن ابتسامته تموت عندما يلمح دمعةً في عينيها!

يمدُّ يده إليها محاولًا استرجاع ملمس يدها لكنها تبتعد.. يشيِّعونه نحو الباب والأب يربت على كتفه دون أن ينطق. وقبل أن يغلق الباب يرى في وجوههم مشاعر لم يفهمها. يهبط درجات السلم. يخرج وينظر لأعلى. يراهم في النافذة وعلى وجوههم نفس المشاعر الغريبة! هاهو يمضي في طريقه.. أراه.. لا أريد أن أراه.

أبتعد عن المرآة.. فتختفي صورته!

أحد من يوليو

مـرآةٌ محـدَّبــة

الكل -مثلي- ذاهل متجمد وهي منهمكة في خلع ملابسها وسط الشارع.

بعد مشادة مع أحد الركاب، نزلت وهي تسبُّ الجميع وشرعت في فعلتها. تراودني فكرة النزول وكفِّها عما تفعل لكن شيئًا داخلي يستمتع ويريد أن يرى المزيد مما لا يراه في الواقع!

البعض يضحك، والبعض يضرب كفًا بكف، لكنَّ أحدًا لا يتحرك!

لا يبدو عليها الجنون. ليست منكوشة الشعر ولا رثة الثياب، ووجهها الشاب جميل غير منغولي الملامح!

- إيه؟ عاوزين إيه تاني؟ صرخت بعد أن تعرَّت تمامًا.

هل العُري بهذه المرارة التي أحسها؟ مؤنبًا نفسي الحقيرة نزلتُ ونزلوا محاولين سترها وهي تقاوم رافضة.

تقترب منها عجوز تحتضنها مهدئة إياها وتُلبسها في هدوء.

تهدأ قليلًا قبل أن تشرع في بكاء مرٍّ لا أعرف كيف أسال دموعي المتجمدة منذ سنين!

- ربنا يستر على ولايانا.

- انت السبب حرام عليك يا أخي.

- والله ماعملت حاجة ده كتفي لمس كتفها من غير قصد.

- يلّا يا اخوانّا هاتطلعوا ولا امشي.

أتابع وجهها المبتعد وطعم الملح في حلقي يتزايد.

- على جنب لو سمحت.

يا إلهي كيف فعلتُها؟ أدهشني ذلك الحسم المفاجئ!

ارتددت على آثاري قصصًا فلم أجد ما أبغي.. أين ذهبتْ؟

أمدُّ بصري في كل الاتجاهات بلا جدوى.. أكانت حقيقة؟

أعود في طريقي وصورتها تلحُّ عليَّ. ما الذي جعلني ألتفت في هذا الشارع الجانبي لأراها؟!

ها هي بملابسها التي كنت أمسك بها منذ قليل.. تكمل ربط أزرار قميصها الزهري.

أتبعها فرحًا، لكنني توقفت خلفها تمامًا.. ماذا أريد؟

نفس الدافع الذي جعلني أنزل من السيارة يدفعني للنداء: يا.. يا آنسة.

تلتفت وهي تمسح آثار الدموع.

أحاول إبعاد كل الخواطر الشريرة عن ذهني لتكون نظرتي صافية تمنحها بعض الثقة.

- مش محتاجة أي حاجة؟

تنظر لي بلا معنى، وأفاجأ بها تقترب وتقبلني في خدي وابتسامة امتنان تعلو وجهها المتعب. يدق قلبي بسرعة غير مصدق، وقد أَلِفَتْ دموعي طريق الخروج غير عابئ بمن في الشارع!

هل هذا هو طعم قبلة الخد؟ كل من عرفتهن لم يفعلن يومًا! أتمنى رد القبلة، لكن يعاودني الخوف منهم فأتراجع.

لا أجدُ كلامًا فأبتسم. تمسك يدي فأتحسس يدها العارية من أي حلقة وتخونني ضحكة فرح. تتوقف أمام بيت قديم وأنا خلفها. تدخل شقة في الدور الأرضي وتغلق الباب بعد أن تترك لي نظرة محملة بابتسامتها العطرة. كيف أتركها؟ أطرق الباب فتفتح لي. أدخل وأجلس على أريكة عتيقة في الحجرة الضيقة المتهالكة.

تدلف هي إلى غرفة داخلية. من مكاني أكاد أسمع حوارها مع أحدهم:

- جيتي بدري ليه يا بنتي؟

- صاحب الشغل طلع طمعان فيّ زي اللي قبله!

يربط عقلي بين هذا الحوار وما فعلته وتتسلل الشفقة إلى قلبي المفعم بالمشاعر المختلطة.

يخرج الأب في جلباب بلدي ويمدُّ يده بالسلام:

- أهلًا وسهلًا يا بني، خير؟

نفس الدافع يعود للظهور: في الحقيقة يا عمي أنا جاي.. أطلب إيد بنتك.

أحاول إطفاء بوادر العجب في وجهه: أنا عارف انه شيء غريب ان واحد يطلب إيد واحدة حتى مايعرفش اسمها، لكن أنا شفتها وحصل قبول وده المهم.

- بس يا بني...

- شوف يا حاج.. أنا اسمي أحمد فتحي مدير تسويق في شركة أجهزة طبية وعندي شقة جاهزة.

- بس...

- بس أنا عندي سؤال واحد عن بنت حضرتك، هل فيه حاجة مضايقاها أو بتعاني من أي مشكلة نفسية؟

- لا يا بني أنا بنتي زي الفل.

يبدو أنه لا يعلم.. هل أخبره؟

تخرج هي بقميصها الأزرق ولا أصدق أنني كنت أمسكه بين يدي. تضع كوبي الشاي وتنصرف.

- ها.. قلت إيه يا عمي؟

- بس لازم نسأل عليك الأول.

- حقك طبعًا.. زي ما قلتلك أنا محاسب في شركة مقاولات ومرتبي كويس والحمد لله.

- انت قلت شغال إيه؟

- مندوب مبيعات حضرتك.

- مندوب؟

- كنت.. أنا سبت الشغل بسبب مشكلة مع مديري، بس بادوّر على شغل تاني.

- يا بني انت باين عليك مؤدب.. وشكلك حلو و..

- لأ.

- فيه حاجة؟

- لكن إيه يا عمي؟

- أنا بنتي لسه صغيرة في أول سنة في الجامعة.

أشرد قليلًا فأراها تخرج وتقترب مني مبتسمة وتطبع قبلة أخرى على خدي: بابا أنا موافقة. لكن أباها يأخذني من يدي ويخرج معي.

- ....

- لا ده كتير.. الشبكة هاتبقى رمزية.

يربت على ظهري بحنان يكاد يبكيني، وفي صوت أبويٍّ مفتقد يسألني:

- انت ساكن فين يا بني؟؟

جمعة من مايو

***

أردتُ أن أقول لجاري

"كل سنة وانت طيب"

فكتبتُ ورقة وعلَّقتها بحذر على باب شقته!

***

مفقُـــودَات

إسماعيل

كان أسرَعَنا. كنت أحسده على سرعته، وكان هو اختياري الأول عند تقسيم الفريقين.. عسكر وحرامية، فريق سلاموني دائمًا عسكر ونحن حرامية. كان إسماعيل يسبقني ويلتفت ليجدني خلفه بمسافة كبيرة، فيقف ويمسك بيدي ويجري. كنت ساعتها أطير.. لا أفكر في مدى خطواتي ولا تلاحق أنفاسي.. ونكسب اللعبة كحرامية.

في الحقيقة لم أكن أحسده على سرعته فقط، بل على ظُرفه الشديد أيضًا. كان أشطَرَنا في لعبة «تماثيل اسكندرية». بحركاته وكلامه كان يُضحكنا بسهولة.

ميله الدائم للضحك جعلهم يستخفُّون به!

لما ردموا الترعة التي يحمل الشارع اسمها تكوَّن ملعبنا الكبير. كنا نمثل ثنائيًا رائعًا. أنظر له عندما أستلم الكرة فيجري في المساحة الخالية. أمررها له طويلة فينطلق سابقًا الجميع محرزًا أهداف الفوز.

أمي تحذرني من اللعب معه فهو البليد (اللي ماوراهوش غير اللعب)

لم تكن تعرف.. كان يكره الجلوس في الفصول. يفتعل أي شيء ليعاقبه الأستاذ بالخروج من جنة الحصة. يعشق الحوش

والفسحة وصوت الجرس.. لحظة المرواح. لما منعوه من اللعب في الحوش وقت الحصص تعلم التزويغ باستخدام مهارته في التسلق والقفز.

في أول ظهور لباجور الزلط فرقع لنا الكورة الكفر التي أحرزها هدفًا من بين أقدام الحارس (خرومة/ كوبري/ فلس).

افتُرش الشارع بالحجارة البيضاء ثم الزفت.. دخلنا عصر الأسفلت!

فرحنا به في البداية كملعبٍ مستوٍ، لكن بعدها ظهرت لافتات تحيي الوزير والمحافظ، وجرت السيارات مكاننا، وحلَّت أبواقها محل صيحاتنا.. مات ملعبنا!

يومها كان الرهان مع سلاموني حول عبور الشارع بسرعة. رشحت إسماعيل من فريقي ليقوم بالمهمة ولم يتردد، بل وقف وسخر كعادته من منافسه واستعد بتقديم رجله اليسرى..

واحد.. اتنيييين.. تلاتة

ما شاهدته لا يختلف في تفصيلة عما شاهده الآخرون. كنا نحكي الحكاية بنفس الكلمات والوصف مئات المرات لآذان مختلفة كل مرة، لكنني أشفتعها بأغلظ الأيمان عندما حكيتها لأمه. لا أعرف إن كانت قد دمعت أم لا فقد كنت أتحاشى نظراتها.

إسماعيل بسرعته تخطى التاكسي المسرع لكنه لم يتخطَّ -كما شاهدنا بأم أعيننا- الميكروباص الأبيض المنطلق بسرعة الصاروخ الذي لم يتخيل سائقه مرور أحد من هذا المكان فلم

يفرمل. كل ما شاهدناه جميعًا ذلك الوميض الأبيض الذي سرعان ما اختفى. لم نسمع صوت ارتطام ولم نجد جسدًا.. لا على الرصيف ولا في نهر الشارع الذي مسحناه بحثًا لأيام متتالية!

كنت أنتظره ولا زلت.. أتوقع ظهوره فجأة كما اختفى.

بعده:

كنت أول من يُمسك من الحرامية

كان فريقي يخسر بالـ «ستة صفر»

لكنني كنت أفوز فقط في لعبة التماثيل!

منيرة

بيد تحمل الطفلة وأخرى تنوء بحمل الأكياس البلاستيك التي تتمنى لو تلقيها أرضًا، تسبُّها في سرك. تحاول الإسراع كي تبتعد عنها قدر الإمكان، لكنك تصل للشارع الرئيسي بسياراته المخيفة. تقف فتلحق بك حاملة باقي الأكياس.

- بالراحة شوية (تقولها بعصبية)

لا ترد وتزيد من سبابك السرِّي.

- إيه اللي حصل يعني؟

تتسارع دقات قلبك ولا تتحكم في انفعالك الداخلي فيعلو صوتك: بتسألي؟ عمَّال اقولك كفاية وانتي شغالة تحميل في العربية بحاجات مالهاش لازمة. إيه؟ سُعار؟

- أنا مش بجيب حاجة مش محتاجينها.
- عجبك يعني لما طلع الحساب أكتر من اللي معايا ورجّعنا حاجات؟
- عادي.. سامي بتاع الكاشير يعرفنا وقدَّر الموقف.
- ماهو المصيبة انه يعرفنا.. حاجة تفضح.
- انت السبب.. ماهو لو بتسمع كلامي..
- اسكتي مش عاوز اسمع.. حاجة تزهق.
- أنا اللي زهقت!

تتحرك إلى اليمين استعدادًا للعبور لكن السيارات لا تهدأ. لم يعد يحرجك كونها أشجع منك في عبور الشارع، ولم تعد هي تلومك على ترددك!

للحظة صار الشارع خاليًا فعبرتَ بحذر إلى رصيف الأمان. ما تبقى لا يكفي لركوب تاكسي أسود ولا حتى أبيض فانتظرتَ الميكروباص.

نزلتَ وهي خلفك صامتَين. أسرعتَ في صعود السلالم إلى المنزل كي تتخفف من حمولتك. أنزلتَ حبيبة التي نامت وتحسستَ باطن كفك الذي اكتسب خطًّا أحمر الألم!

شغَّلتَ المروحة وشرعتَ في خلع قميصك. صوت انغلاق الباب تأخر فخفتَ أن يدخل فأر للشقة. قمتَ بتكاسل وزهق. فكرتَ في غلق الباب لكنك خشيت رد فعلها. نظرتَ إلى السلم فلم تجدها. نظرتَ من البلكونة.. لا أثر لها في الشارع. دخلتَ

وارتديتَ قميصك بلهفة. تأكدتَ من نوم حبيبة ونزلتَ بعد أن أخذتَ مفتاح الشقة. توقعُك بأن تجدها على السلم تنتظرك لتحمل عنها الأكياس لم يكن صحيحًا. تطلعتَ إلى بير السلم. خرجتَ من باب العمارة إلى الشارع الخالي إلا من بعض العابرين. تحاول بيأس أن تتصل بها لكن توقعك هذه المرة كان صحيحًا: التليفون مغلق!

دلفتَ إلى الشارع الرئيسي ولم ترَ شبحها. خاطرٌ جال بعقلك جعلك تركض إلى البيت صاعدًا السلالم. لا مكان غيره.. في كل الخناقات السابقة كانت تهدد بترك البيت وكانت تفعل مع علمها أنه لا مكان لها في بيت أبيها الذي تزوج فيه أخوها الأصغر وزوجته لا تطيقها!

كانت تصعد بضع درجات على السلم وتجلس على باب السطح المغلق.

برودك في استقبال تهديدها بترك البيت بعد ذلك كان مبررًا.. كيف نسيت؟

صعدتَ هذه المرة مجهزًا ابتسامة «رخمة» سرعان ما تلاشت. فتحتَ باب الشقة فلربما تكون قد عادت. بحثتَ عنها في أركان الشقة.

منيرة.

ناديتَ عليها ثم توقفتَ حتى لا توقظ حبيبة.

ترى هل ذهبت لأخيها؟ رد على اتصالك بلهفة فلم تكن تتصل به. سلمتَ عليه فتعجب وسكت منتظرًا أن تطلب منه شيئًا. أكدتَ له أنك تطمئن عليه. ضحك وسأل عن منيرة وصحتها.. إذن فهي ليست عنده! أنهيتَ المكالمة فجأة وعدتَ لبحثك.

أين ذهبت؟ التليفون ما زال مغلقًا!

الجيران! تستغرب الكلمة لكنها ملاذك الأخير. تفكر: مَن منهم يمكنها أن تلجأ إليه؟ تحتار.. تقرر أن تجرب.

ها أنت أمام باب الشقة الأولى.. بُني بدون زخارف ذو مقبض نحاسي دائري. تُوقفُ نبض ترددك وتضغط على زر الجرس نصف ضغطة. لا تجد ردًا، فتتشجع وتضغط ضغطة كاملة. ترتاح لعدم الرد وتهرب إلى شقة بالدور التالي. بمجرد ضغطك على الزر يُفتح الباب ويظهر كرش يرتدي «تشيرتًا» أزرق يبحلق ولا يتكلم.

- أنا.. أنا اللي ساكن فوق و.. و..

- أي خدمة؟

- بصراحة كنت بدوّر على المدام.

- مدامي؟

- لأ مدامي أنا.. كانت طالعة ورايا ومش لاقيها.. كنت بقول
- يعني ممكن..

- لا مش هنا.

يغلق الباب قبل أن تشكره!

بابان آخران يُفتحان ويُغلَقان بإحراج متضاعف دون مقابل تقف أمام سرير حبيبة تتصل بالتليفون الـ ما يزال مغلقًا!

حبيبة

«مرفوض». يتأمل توقيع رئيس المركز على مقترح بحثه الذي قضى شهورًا في إعداده وعمل التجارب التي تستنفذ مرتبه كله.

يدخل القسم للمرة الثالثة.. في المرة الأولى كان متَّهمًا، وفي الثانية كان الضحية، وفي المرتين «لا أعرف» كانت إجابة كل الأسئلة!

«لسنا جهة اختصاص» كانت ردَّ مُوجِّه الأسئلة السابق.

أخبروه أنها مسالة داخلية ويمكنه تقديم الشكوى للوزير المختص. شرح لهم أهمية بحثه وفوائد تلك الحُلة المعدنية التي سيرتديها الإنسان وتحميه من.. لم يدعوه يكمل وطردوه من القسم.

يضغط الوزير زرًا فيدخل رئيس المركز. يُفاجأ به فيرد بإجابات سريعة كأنه يدفع اتهامًا: اللجنة سعادتك اللي قيِّمت البحث شافت انه غير مجدي ومكلف والاستخدام المقترح غير منطقي. يعطيه الوزير الملف: طب خد تركيبة السبيكة وشوف ممكن نستفيد منها في إيه.

يُسِرُّ رئيس المركز للوزير بحوار يسمعه:

- يا فندم الأستاذ اللي قدام سيادتك كان متهم في قضية قتل زوجته ودخل مصحة نفسية بعد موت بنته.

وتحت ذلك الوجه المتعالي الذي ملّه تعلم الفضفضة: مفيش فايدة مش عاوزين البشرية تستفيد من اختراعي اللي هيخلي الإنسان يعيش في أمان وسط العربيات المتوحشة.. بدلة معدن هنلبسها هتحمينا حتى لو.. حتى لو..

- كمّل.. حتى لو العربية داست علينا.. زي ما حصل لحبيبة.

يقوم من رقدته ويواجهه بعصبية مفرطة:

- حبيبة أنا كنت ماسكها.. إيدي كانت في إيدها.. فجأة إيدها سابت إيدي.. سمعت صرختها وبصيت ع الطريق.. لقيت وميض أبيض اختفى بسرعة و... عاد لبيته...

زوجته التي يتمنى أن تفتح الباب وتدخل فجأة أصبح يخشى أن تظهر وتسأله عن...

حبيبة.. لطالما تمنى أن يراها في أحلامه..

كان يرى إسماعيل يجري مادًا إليه يده، وكان دومًا يفشل في إمساكها..

في هذه الليلة نجح!

خميس من نوفمبر

سِحْر

الوسادة المهتزة توقظه في موعده المحدد سلفًا. يفتح عينيه.. تنزل المنشفة المبتلة لتمسح وجهه تتبعها أخرى جافة. يعتدل السرير فيقوم. باب الدولاب يُفتح وتمتد يدُ خشبية مقدِّمةً له الحُلة التي حلَّ دور لبسها –الصفراء اللامعة–، على الشاشة أعلى باب الشقة تظهر طائرته وينطلق الصوت: الطائرة في انتظارك.

ينطلق بطائرته إلى المسرح الكبير. تضايقه ملاحظة أن أحدهم يرتدي نفس درجة اللون التي يرتديها. تبتسم له إحداهن. لا يتذكر متى رآها.. كلهن متشابهات وإن اختلفت التفاصيل!

يقف أمام البوابة لحظة فتظهر صورته على الشاشة، وعندما تتحول للون الأخضر يُفتح الباب.

السير المتحرك ينقله إلى كرسيه. يجلس ممنيًا نفسه بعرض يُحيي دهشته.

المسرح ممتلئٌ عن آخره سوى من بعض الكراسي هنا -بجواره– وهناك.

11 ثانية على العرض.. ما زال تليفونه يصر على تذكيره فيغلقه.

عبر الحاجز الزجاجي الذي يفصله عن الكرسي المجاور يشاهد الشخص الذي شغله فيجد نفسه.. كأن الحاجز تحول إلى مرآة! يلتفت إليه الشخص المجاور فيزداد يقينه. يشيح

كلاهما بوجهه بعيدًا.. ربما كان توأمي!

في لحظة واحدة تُطفأ أنوار المسرح وتُضاء الشاشات الموزعة بالأركان وتُفتح الستارة.

مقدم العرض معلق في الهواء يعلن عن البرنامج ثم يختفي.

العروض المملة والمتكررة -لسَحَرة هواة ومحترفين يحولون الحبال لثعابين تتعارك- تزيد من تشوُّقه للعرض الجديد للساحر الأعظم.

ها هو موعده. يتقدم ببطء وخيلاء من عمق المسرح، وعند نقطة معينة يختفي ليظهر قادمًا من يمين المسرح.. يتقدم عدة خطوات ويختفي ليظهر من الشمال. تكرر ظهوره واختفاؤه ولم يصفق أحد!

يظهر من العمق ويتوقف، ويظهر من اليمين ويتوقف، ويظهر من الشمال ويتوقف فيصفق البعض.

تظهر صورتان أخريان ليصيرا خمسةً.. فيصفق البعض.

يتقدم الخمسة إلى مقدمة المسرح.. يقترب بعضهم من بعض ويندمجون ليصيروا واحدًا.. فيصفق البعض.

يعلو صوته فيتردد صداه خمس مرات: والآن.. مع العرض الكبير المثير...

تقترب الكاميرات من وجهه في لقطة كبيرة. تتقلص عضلات وجهه وتنقبض وتنبسط لفترة، وفجأة تنزل قطرات ماء من عينيه فيصفق الجميع بحرارة!

جمعة من فبراير

***

"حينما تكون في أمريكا لا تأكلْ سوى السمك"

منفذًا نصيحة صديقي أدخل مطعم المأكولات البحرية بصحبتهم.

تأتي جلستي بجوار "مارثا" تلك الأرملة مكسيكية الأصل. يدور حديث بيننا، وعندما تبدأ في الحكي عن ابنها المجنَّد الذي قُتل في العراق تدمع عيناها. أتأثر لكن عقلي يوقف نزف عيني ويتهم قلبي بالخيانة! أهرب من المعركة خروجًا من المطعم.. فيداهمني الصقيع!

***

ليلةُ مَقتلِ مُـونالـيزا

- هل كانت تحلم بأكثر من هذا؟

الآنَ وقد تحول منزلها المتواضع إلى متحف يضم أعمالها وصار قِبلة الفنانين والمدعين والمجانين. تراني قد فعلت شيئًا ذا بال؟

حبيبتي.. إنني أفتقدك الآن أكثر من أي وقت.. كنت أتمنى أن ترَي ما فعلتُ من أجلك.

يقطع عليه تفكيرَه ظهور وجه يعرفه دون صاحبه.. وجه خلَّدته في إحدى لوحاتها!

***

القصف مستمر وهي تلملم أدواتها في حقيبتها الجلدية، وتنزل غير عابئة بتحذيره الهاتفي لها قبل انقطاع الاتصال. الكل يجري على إيقاع القنابل. تتسمر هي في مكانها عندما ترى طفلًا غارقًا في بركة من الدماء. تُخرج أدوات الرسم وتشرع في رسم لوحتها وسط صراخ الهاربين وتحذيراتهم وسبابهم.

***

- ما هذا ؟

- ماذا.. ألا تعجبك؟

- إنها جميلة جدًا وتلك هي المشكلة. ما كل هذه الرومانسية؟

المفترض أن تثيري شفقة العالم من خلال هذا الطفل لا أن تثيري إعجابهم. إن تصويرك للدماء على هيئة طائر محلق أراه خيانة للقضية من أجل الفن. ما يهمك هو لوحاتك ووضعك كفنانة. حسنًا أيتها الفنانة العبقرية، يمكنك عرض لوحاتك وإبهار العالم.

- لا أنكر أنني فنانة ولست صحفية، ومع هذا أراكَ لا تقرأ أعمالي جيدًا.

***

قصف آخر استهدف أحدهم في سيارته. تهرع إلى مكان الحادث فتراهم يُخرجون بقاياه من بقايا السيارة. تتأمل المنظر وتراودها الفكرة فتنفذها.

***

- لا أمل فيكِ أيتها الفنانة.
- ماذا ترى فيها؟
- بعد أسابيع من الطرق تحوّلين جسم السيارة المهشم إلى هذا المنظر العبثي.
- ماذا ترى فيه؟
- لا شيء.
- انظر جيدًا.
- لا أرى شيئًا.

- إذن، اغمض عينيك.

- ثم ماذا؟

- استرخِ.. انسَ كل شيء.. حاول اجتياز جدار الواقع.. ها، ماذا ترى؟

- أفق بعيد.

- جميل. افتح عينيك الآن وانظر لعجينة الصفيح.

- آه، عظيم.

- قل لي ماذا ترى؟

- امرأة ترقص طبعًا.

تبتسم: أتعرف ما سر جمال الموناليزا في رأيي؟

- الإطار؟ لم يتبقَّ غيره في اللوحة كي يمدحه النقاد.

- أنا لا أمزح، إن عبقريتها في ابتسامتها الغامضة.. تلك الابتسامة التي تعكس ما في نفسك. أتعلم أني زرتها مرتين خلال يوم واحد، وفي كل مرة كنت أرى ابتسامتها بشكل مختلف.. مرة أراها ابتسامة طيبة متسامحة، ومرة أجدها ابتسامة هازئة ساخرة لا مبالية. أتعرف معنى هذا؟

- معناه بالطبع أنك شخصية متقلبة المزاج.

***

اليوم قصف متبادل لأول مرة.

تبهرها مصادر هذا القصف وتبغي القرب، وفعلًا تذهب إليهم وترسم لوحة جديدة!

***

- مستحيل

- لماذا؟

- إن لمجلتنا فكرها ومذهبها ولا يمكن المَحيد عنه.

- كنت تردد كلامًا كثيرًا عن الحرية.. أتذكر؟ أم أن حريتي كانت تصبُّ في بحر أفكاركم؟

- انظري.. أليست هذه لوحة لك رسمتِها بمنتهى الحرية. ماذا جرى؟

تتذكر اللوحة التي رسمتها لشخص ملتحٍ مخيف نابا دراكيولا يزينان فمه.

- لم أكن أعرفهم.

- والآن؟

- أريد نشر هذه اللوحة الجديدة.

- آسف.

- سأنشرها في أي مكان.

- فكِّري جيدًا ولا تتسرعي.

- ألم تكن تتهمني بأنني ليس لي قضية؟ هذه قضيتي من الآن وسأنـ...

- هل تعرفين ناجي العلي؟!!

***

- هل كانت تحلم بأكثر من هذا؟

الآنَ وقد تحول منزلها المتواضع إلى متحف يضم أعمالها، وصار قِبلة الفنانين والمدعين والمجانين. تُراني قد فعلت شيئًا ذا بال؟

حبيبتي.. إني افتقدك الآن أكثر من أي وقت.. كنت أتمنى أن ترَي ما فعلتُ من أجلك.

يقطع عليه تفكيرَه ظهور وجه يعرفه دون صاحبه.. وجه خلَّدته في إحدى لوحاتها التي جلبت عليها...

- السلام عليكم.

- أهلًا وسهلًا.

يشعر بكراهية متزايدة له. هل هو الاختلاف العقائدي أم تُراها غيرة؟

يصحبه إلى اللوحة الأزمة فيريه وجهه بلحيته الوضاءة كالشمس. لا يستطيع الضيف إخفاء انبهاره وغبطته باللوحة فتخرج عنه نصف ضحكة يحاول كتمها مترحِّمًا عليها.

يحاول هو إفساد متعته فيصحبه إلى لوحاتها الأولى.. دماء الطفل على شكل طائر.

- الله!

- أتعجبك؟

- بالتأكيد.. أترى الدماء وقد تحولت إلى طائر ذبيح يحاول الطيران؟ رائعة.. عبقرية فعلًا!

- لا ييأس ويوجهه إلى عجينة الصفيح التي شكلتها.

- إن لم تفهمها أنصحك أن تغمض عينيك و...

- بل أراها جيدًا.

- عظيم.. بالتأكيد الرقص حرام.

- أي رقص؟

- كتلة الصفيح هذه تعبر عن امرأة ترقص.

- لكنها لا ترقص.

- ماذا؟

- إنها تصرخ.. تولول.. انظر جيدًا.

خميس من فبراير

لمسةٌ ناعِمةٌ .. لجِلدٍ ميِّت

محاولًا الاستمتاع تجوَّلت ببصري. الإضاءة شبه منعدمة، واللوحات يغلب عليها اللون الأسود. الليل فقط يزور هذا المكان. المكان.. الأرض رمال والجدران صخرية.. ملساء ملتوية. الحضور حولي لا أستطيع تبيُّن ملامحهم. يتحركون ببطء وفي انتظام كأنهم متفقون على تلك الحركات التي تدرَّبوا عليها قبلًا. أنا فقط المخالف. شعورٌ بالغربة يحتويني. ألوذ هربًا. تستوقفني التماثيل والأعمدة الضخمة. فلاشات كاميرات الزائرين وسط الظلام تدغدغ عيني محاولة بعث النشوة داخلي.

المومياء المعروضة في فاترينة زجاجية تجذبني. أتأملها مليًا حتي يعود الحزن.. ذلك الشعور الذي يؤنس وحشة روحي. أنتقل إلى التماثيل التي تكوِّن دائرة حولي. أدور متبيِّنًا ملامح العظمة والجمال والرهبة التي تغلِّفها. يبدو أنها كلها لملوك، لكن تلمح عيني من بعيد تمثالًا لرجل أسود نحيل يغلب عليه البؤس.. يأخذني من هؤلاء. أتفحصه والسؤال عن ماهيته يملؤني. لا بطاقة تعريفية بجواره مثل الباقين. رقَّ قلبي له واكتشفت أنني وحدي من أقف أمامه. ودَّعته مبتعدًا. قلبي يحاول الابتسام عندما تلمح عيني الكتب تملأ المكان. الجدران والسقف القريب من الرؤوس. الناس من حولي منهمكون بتصفُّح الكتب، والبعض يدفع العربة الصغيرة ذات العجلات واضعًا فيها ما يعجبه من

الكتب ذات الأغلفة الملونة. تقودني عيناي إلى ركن معنون بـ "ركن الأحزان". أتحسس جيبي مترددًا، لكن الأغلفة السوداء تحسم الأمر. أحاول إخراج حافظة نقودي.. الجيب فارغ.. مصيبة.. هل وقعتْ!

عدتُ إلى كل الأماكن التي دستها نابشًا الأرض بعيني بلا جدوى. لقد سُرقت.. إنه ذلك الشاب الذي كان يحتكُّ بي وأنا أشاهد المومياء واعتقدت أنه شاذ.. ربما..

كيف أعود بدونها؟! يا رب.. لا.. إن الله أرحم من أن يتركني هكذا بدون نقود وهو يعلم أني لا أجيد سؤال الناس.

أما لهذا المكان من إدارة! الممرات الملتوية يسلمني بعضها لبعض حتى وجدت ما يشبه المكتب. أتوقع أن يأتي أحدهم ليجلس خلفه. الكل يمرُّ جواره ويمضي. الأمل يتذكرني ويدعوني أن أبحث فوق هذا المكتب ربما وجدها أحدهم ووضعها عليه. أتلصص متوقعًا أن يأتي شخص ما صارخا فيَّ "ماذا تفعل!". تأتي امرأة تليق بكابوس.. سمراء نحيلة.. ضغط الزمن وجهها فأبرز عظامه.. أسنانها البارزة ليست بيضاء.

"هل تبحث عن شيء!"

"نعم.. حافظة نقودي"

تفتح حقيبتها.. "أعتقد أنها هي" وتلقي بها بعيدًا! لا وقت للعجب. جريت باتجاهها فبدت لي سوداء. ساورني الشك، لكن عندما اقتربت ملتقطًا إياها تأكدتُ أنها حافظتي البنية. تنهَّدت بارتياح. فتحتها وأنا أقترب من تلك الغريبة. عاد يقيني بكوني

كائنًا حيًا عندما وجدت تحقيق الشخصية. لكن، النقود.. لا توجد سوى الفكة. بتردد سألتها:

"أين النقود؟! "

"لقد أخذتُها". رأيت من بين أسنانها البارزة نابي دراكيولا، فزاحم الرعبُ الحزنَ بداخلي!

خرج كلامي ذليلًا في رجائه: "لكنني في حاجة إليها"

الصدق في جملتي كاد يدفع دموعي المستعدة للسقوط. وجدتها بتأثر وغضب ترد: "إنني في حاجة إليها أكثر منك")

رأيتها علي فراش.. في غرفة مظلمة.. عانس وحيدة.. هجرها الجميع ولم يبقَ لها سوى عقدها وأمراضها.

"من فضلك.أعيدي إليَّ نقودي"

تتلاقي أعيننا للحظة فترقُّ نظرتها، وتُخرج من صدرها كيسًا قماشيًا وتعطيني منه ورقتي عملة. هل تكفيان ونحن في...

حاولت تذكر تاريخ اليوم.. مُسحت ذاكرتي. شعرت فقط أن آخر الشهر بعيد جدًا، وبيني وبينه حقب زمنية مظلمة. "أريد كل نقودي"، بشيء من الغلظة قلتها مستفزًا شراستها والأنياب. أتذكر حاجتي للمال وكرهي للسؤال فيغلي الدم في عروقي. أراني ممسكًا رقبتها العظمية.. تتحوَّل إلى هيكل عظمي مرتعش. صوت سعال يجعلني أتوقف. جسد هامد أمامي هي.. هل قتلتها؟! أيمكن أن يتحوَّل الإنسان إلى قاتل في لحظة!

منظرها الذي صار أكثر إرعابًا يدفعني للهرب. لكن.. النقود!

أتأمل وجهها. لأول مرة يغادرني الحزن. الهرب.. النقود..

صارت جميلة.. استدار وجهها الأبيض المبتسم صورةً متجسدةً لحبيبة لم أقابلها. من فرط الشوق كدت أقبلها، لكن يدي تسرع وتندس في صدرها، ليس لقطف التفاح كما في أحلامي. أُخرج الكيس.. آخذ النقود. اعتقدت أن قلبي سيطمئن، لكن.. تعود صورتها المخيفة. فكرت في إعادة الكيس لمكانه منعًا للشبهات.. خفت.. جريت هاربًا.. الممرات الملتوية لا تنتهي.. التعب والرعب يلاحقانني حتى خرجت. ما هذا؟!!

وجدتني على شفا ربوة مرتفعة، والدنيا تحتي ظلام.

اثنين من أبريل

***

يجري إليها بما تبقى من قواه. تطير إليه كعصفور وجد النهاية السعيدة للرحلة

تحتضن يداه يديها

تلمح في عينيه شيئًا يراه في عينيها

يتذكران غناء المشوار فينفجران في هستريا من البكاء!!

***

هَل يمكنُ أن نحبَّ يومَ الثُّلاثاء؟

الحقيبة المتخمة بالكتب في اليوم الدراسي الطويل.. الأخبار السيئة في حياته.. كل أزماته ومآسيه.. ذلك الشعور المقبض اللعين اللاسببي: لا يجمع بين كل هذا سواه.

ياله من ...!

مذ عرفها يشعر أن تفاصيل حياته كلها تتغير. يجفف آثار الماء من وجهه ويقطع ورقة النتيجة ناظرًا إليه بتحدٍّ: سأهزمك.. لا بد أن أهزمك!

مكالمة تليفونية قصيرة يجريها تعفيه من الذهاب إلى العمل.

يشعر بالراحة ويملأه أملٌ في تحقيق ما انتواه. الشعور المعتاد يبدأ هجومه فيقاومه بتذكر صورتها وتخيُّل أثر تصريحه على ملامحها. يهتز قلبه حتى حافة الفرح. يعاود التطلع إلى النتيجة. يغمره الحماس وهو يرشُّ رذاذ عطره المفضل يحاول به إيقاظ نشوته الغافلة. يخرج صافعًا الباب حابسًا إياه في الداخل.

الشوارع التي أوحلها المطر.. سيارة الأجرة المزدحمة.. نواح المغني بالكاسيت.. كل هؤلاء عملاء لديه كشفهم بسهولة ضاحكًا باستهزاء.

لحظات أيها الوغد وألقاها وأقضي على أسطورتك المزيفة!

يصلُ إلى المكتبة.. تتسارع دقات قلبه سابقةً خطواته المترددة.. تُناديه اللافتة «قسم الإعارة».. يقترب.. لا يجدها!

تجيب زميلتها لهفته الصامتة: إجازة مَرَضي النهارده.

مَرَضي؟ (ها هو يمارس تخصصه القديم!) يبدو أنه سينتصر، لكن لا.. لن أيأس.

يتصل بها. صوتها يصدِّق على كلام زميلتها. يمكنني أن.. حتى لو صوتًا فقط.

- أنا كنت..

- ها؟

- كنت عاوز أقولك..

- ...

- ألف سلامة.

يراه يضحك في شماتة فينسحب عائدًا مهزومًا.

يفتح التلفاز، أول خبر يستقبله يتأثر له جدًا.

لا أيها الوغد.. إنني أسمع أفظع منه كل يوم دون تأثر.. لن تخدعني!

يعود إليه. يراه غليظًا في سواده. ينظر له بتحدٍّ واثق: لن أستسلم.

يطلبها.. تَرد في ملل فيبادرها: فيه حاجة مهمة عاوز أكلمك فيها.

يشعر أنه يوجه له لكمة قوية، لكن العنيد يتماسك وهي ترد: مش هاينفع دلوقت. وتترك بابًا مواربًا للأمل: ممكن بالليل ع (الماسينجر).

- اتفقنا.

- يتشاغل بلملمة أوراق رسالته العلمية البائسة. يحاول

القراءة فيتذكر أول لقاء.

- كتاب بالتخصص الدقيق ده مين ممكن يستعيره؟

- معلش، لو جيت بكره هاتلاقيه موجود إن شاء الله.

تعجَّب وقتها من ثقتها، وزال عجبه في اليوم التالي وهي تقدم له الكتاب مبتسمة: أختي كانت مستعيراه.

- مش عارف أشكرك ازاي، بس المهم هي خلَّصته؟

- ماتقلقش، لما تخلصه هي تكمله.

بعدها سأل عن أختها وعرف أنها طالبة في نفس تخصصه، وتطورت العلاقة بعد أن طلبت أختها مساعدته في إعارتها بعض المراجع و...

ابتسم وهو يتذكر عندما أخطأ وأعطاها اسطوانة التشريح بدلًا من اسطوانة فيروز التي طلبتها.

فتح جهاز الكمبيوتر بلهفة وتشوَّق لقراءة اسمها وبجواره (أون لاين)، لكنها خذلته. عاد خصمه مرة أخرى يطل بابتسامته المستهزئة!

يفتح رسائلها. يستعيد متعة تتبع مراحل علاقتهما.

يرقص قلبه عندما تصله تحيتها: السلام عليكم.

- وعليكم السلام.. اتأخرتي.

- آسفة.

- المهم..

- خير؟ قلقتني.

- خير.. أولًا ألف سلامة عليكي. ثانيًا كنت حابب أقولك...

التردد يوقفه، لكنه يستعين بكل لحظاتهما الجميلة ويتذكره فيزداد شجاعة فوق الشجاعة التي يمنحها له هذا التواصل الكمبيوتري!

- ها؟

- بصراحة ومن غير مقدمات وكلام كتير.. أنا بحبك.

الصمت يأتي به فيكمم فاه مانعًا ضحكته الشامتة.

يشعر أنه يطرحه أرضًا مع جملتها الخجلى:

- وانا كمان.

ينتفض من على كرسيه طائرًا من الفرحة كمدافع مجنون أحرز هدف النصر لفريقه!

- الله.. ممكن بعد إذنك يا حبيبتي نسجل اللحظة التاريخية دي؟ حبيبتي كده على طول؟ طول عمرك متسرع.

- سامحيني. المهم.. إنه في يوم الثلاثاء الموافق...

- لحظة واحدة عشان الأمانة العلمية.

- إيه؟

- النهارده مش التلات!

- نعم؟

- أيوه.. بص في ساعتك.

يقوم إليه.. يجده يضحك مخرجًا له لسانه!

يقطع ورقته ويبتسم ابتسامة "أربعائية" واسعة!

ثلاثاء من يونيو

***

اقترب منها.. عينٌ ملؤها الشوق، وأخرى تفيض بالحنين
وقبل أن يهمس لها بالكلمة التي تتملكه وجدها تمسك بمرآة كبيرة وتواجهه بها
استدار مذعورًا، لكنها تطارده بإصرار
يجري هاربًا.. يبتعد
تقترب، فيمسك حجرًا ويكسر المرآة صارخًا: أكرهك!!

***

فيلمٌ روائيٌّ قَصِــير

يتناول رشفة من فنجان قهوته ويعاود الكتابة:

المشهد الثالث: نهار خارجي/ كلية الهندسة

المشهد به حشد من الطلبة بأزياء مختلفة. يسير حاملًا مسطرته حرف T.

يقف فجأة. تنتقل الكاميرا في اتجاه نظره لتثبت عليها مع بعض زميلاتها. (كلوز) على عينيها.

العودة إليه واجمًا تخرج من صدره صورة لقلب أحمر يتمدد وينقبض مع موسيقى ناعمة في الخلفية.

(قطع)

المشهد الرابع: نهار خارجي/ كافيتيريا الكلية

يقترب منها في حماس:

- قسم عمارة.. مش كده؟
- أيوه، فيه حاجة؟
- طلب صغير.
- اتفضل.
- تقبلي تكوني العفريت بتاعي؟
- عفريت؟ يعني إيه؟
- أقولك.. نظام العفريت يا ستي إنك...

(اختفاء تدريجي للصوت مع موسيقى مناسبة)

(قطع)

المشهد الخامس: ليل داخلي/ إحدى صالات الرسم بالكلية

لوحة رسم كبيرة A1 مفرودة يقف هو في منتصفها وهي عند أحد أركانها منهمِكَين في الرسم.

يتوقف ناظرًا إليها: – عارفة؟

- خير.. فيه حاجة غلط؟

تخرج من رأسه لوحة تعليق مكتوب فيها (إنتي أجمل عفريتة في الدنيا).

بينما لسانه ينطق: إنتي رسمك حلو قوي.

تبتسم في خجل.

(قطع)

يضع القلم ويعود بظهره مُأرجحًا كرسيه البامبو سارحًا في ذكرياته.

يصب الشاي لمساعده الممسك بالسيناريو في إعجاب: المشهد ده ظريف قوي.

يتناول منه الورق: إنت عارف المشهد ده أنا نفسي أصوَّره أبيض واسود.

- فكرة مجنونة.

- وابوها يلبس بدلة قديمة زي باشوات زمان.. حاجة كده زكي رستم!

- وهي إيه؟ فاتن حمامة؟

- لأ.. زبيدة ثروت.

(يصرخ معترضًا) STOP

يتقدمَ ممثلًا الحركات المفترضة:

- يا ماما مش كده.. قلت هاتنزلي على ركبك وتضمي ايديكي تحت دقنك وانتي بتبتسمي وهاتقولي: آسفة.. مش هاعمل كده تاني، مش هاقف معاه تاني. خلاص؟ بعدها هاتقومي تفرجيه ع الجيب وانتي بتقولي شفت أنا لابسة إيه عشان خاطرك.

يتجه إلى الآخر: وسيادتك هاتبتسم نص ابتسامة وانت بتقول "يعني خلاص مفيش بنطلون بعد كده؟".. مفهوم؟

يعود لمكانه خلف الكاميرا ويصيح: هانعيد م الأول.. جاهزين؟

***

على باب قاعة العرض يقف مستقبلًا المدعوين بابتسامة ينقصها شيء. تترقب عيناه القادمين باحثة عنها. قشعريرة متزايدة تنتاب جسده مع اقترابها. تُسلِّم: ألف مبروك.

يسرح في عينيها ولا يرد. انتفاضة يدها في يده تُفيقه فيعتذر ويدخل معها القاعة.

لم يكن يتابع فيلمه.. كان يتابعها.. يترصَّد ردود أفعالها.. يتمنى لو يلحظ تأثرًا ما.. اختلاف خلجات وجهها في مشهد ما.

- انت بتلقاني ازاي من غير اتفاق أو ميعاد والدنيا زحمة كده؟

يمط شفتيه لا إراديًا مع البطل هامسًا: إحساس.

يلتفت إليها.. تلتفت إليه، لكنه لم يقرأ شيئًا في نظرتها المحايدة!

يعود إلى الفيلم. تتحول الشاشة إلى الأبيض والأسود. الأب بأدائه الكاريكاتوري يسألها: أبوه بيشتغل إيه؟

- بيقول موظف صغير.

- موظف صغير؟ وامه قصدي مامته؟

- بيقول مش بتشتغل.

- شوفي يا بنتي، انتي يمكن تكوني متواضعة ومش بتهتمي بنفسك وده بيطمّع الناس فيكي.. الرعاع.. مش عارفين انك بنت محجوب عبد الدايم؟!!

- بس أنا...

- عارف هاتقولي بتحبيه والكلام الفارغ ده، هاقولك على حاجة.. إنتي فاكرة انتي كنتي بتحبي القهوة قد إيه؟ وفاكرة لما قلتلك انها مضرة ولازم تبطليها؟ قدرتي تبطليها ولا لأ؟ أعتقد انه مش هايكون أغلى عندك من فنجان القهوة!

ضحك في الصالة. يتمنى أن تلتفت.. تضحك.. تعاتب.. أي شيء. تقتله حالتها اللاشيئية تلك!

- أنا بحبك.

- انت مش بتحبني.. انت بتحب واحدة تانية عاوزني أكونها!

صدقيني بحبك ومن غيرك هاضيع.. فاهمة يعني إيه هاضيع؟

- أرجوك ماتحاولش تبتز مشاعري!

- دموع البطل يمسحها بكفه!

الإضاءة القوية تجذب عينيه. يجد نفسه في المسجد مُطلِقًا لحيته يستمع لأحد الدروس الدينية – قطع على سيارات الأمن المركزي وهدير الجنود المتحفزين لاقتحام المكان!

لماذا لا تنظر لي نظرة إشفاق حتى؟!

موسيقى النهاية تجعلها تتململ في جلستها. تنفض بنطلونها وتقوم ممسكة بحقيبتها الصغيرة.

يتهرب من المهنئين المبهور منهم والمجامل. يستوقفها عند باب الخروج. شيء ما تغير، تُرى ما هو؟ ربما اختفى بريق الجنون في عينيها!

- إيه رأيك في الفيلم؟

- حلو، بس النهاية...

تعليقها يكاد يحبطه لكنه يستدرك: مش بتحبي النهايات اللي من النوع ده؟

- لأ، بس شايفاها مفتعلة ومش واقعية.

- بالعكس، البطل بعد خروجه المفروض بيواجه نفسه بشجاعة.. اكتشف انه بيحب السينما درسها.. اكتشف انه بيحب فرجع و...

تقاطعه: طب وهي؟

- هي؟ فاكرة جملتها «لو اتأكدت اني بحبك مش هاسيبك، هادوّر عليك واتجوزك حتى لو بقيت زوجة تانية!» فاكرة؟

(يقولها بصدق مغيِّرًا مسار الحديث للمباشرة ناظرًا إلى أصابعها الخالية). تقدري تفهّميني ليه ماتجوزتيش لحد دلوقت؟

- ظروف.

- ظروف؟

- أيوه. بابا مات وكان لازم أنفذ وصيته.. كان نفسه أكون أنجح واحدة في الدنيا. دلوقت باحضر الماجستير ومش مستعدة أي حاجة تعطلني عن طموحي.

- طموحك ولا طموحه؟

- ماتفرقش.

- يعني؟

- يعني البطلة لسه متمسكة بجملتها الأثيرة.

تقولها وتمد يد الوداع.

يتابع ابتعادها متمنيًا عدم نزول كلمة «النهاية» التي يكرهها!

سبت من مارس

بَـلـل

عشر دقائق على الموعد.

تسمع جلبة فتهرول إلى غرفة الطفلين، برفق تفتح الباب وتختلس نظرة على ضوء اللمبة السهاري. ابنتها التي تخشى الظلام لا تزال محملقة في السقف!

برفق تغلق الباب وتتجه لباب الشقة. ركلة عنيفة تضرب الباب فيسقط مخلّفًا وحشًا جاحظ العينين يدهس الباب بحذائه الضخم المترب و...

رعشة رأسها تبعد بها المشهد الذي طالما أرّقها!

تدير المفتاح فيلفظ اللسان سَكّته السادسة والأخيرة. بنظراتها المتفحصة تتأكد من إحكام غلق الترابيس الثلاثة والسلسلة.

تشعر أنها استنفذت كل الوسائل المساعدة على الأمان.

***

ينتهي بسرعة من غسل الصينية الملطخة ببقايا السمك.

يعود إلى الصالة ليتناول كوب الشاي الذي أعده زميله.

- إيه رأيكم في الأكل النهارده؟

يرد على زميله الآخر بابتسامة قرف وهو يضع الكوب فارغًا:

- دوري.

يدخل الغرفة ويغلق بابها خلفه بالمفتاح.

***

نشوة لم يقتلها التكرار تراودها كلما تحسست أجندة التدوين. تعشق الكتابة باللون الأخضر. تفرُّ صفحات الماضي بحنين وتفتح صفحة جديدة لتخط جملة واحدة:

«الشوق: قصيرُه لذيذ.. طويلُه عذاب».

تفكر في الخروج إلى البلكونة. تصدمها نظرات جارها المتربصة فتعدل عن الفكرة.

من غرفة نومها يُعلِمها هاتفها المحمول أن محمود -زميل العمل- يفكر فيها هذه اللحظة، فتعود الغُصة المتكررة من تذكُّرها أنها لم تؤنِّب نفسها قط على إعطائه الرقم!

تستجلب صورة الغائب. تفتح الدولاب. تتناول إحدى بذله. تشتمُّها. تحتضنها. ترتديها، وتزمّها على جسدها.

موسيقى «عارفة» تنطلق من الهاتف معلنةً عن الموعد.

شاشة.. سماعة.. ميكروفون وقلب يدق!

بلهفة تشغِّل البرنامج وتضغط عدة ضغطات عشوائية وعيناها مُركَّزة على اسمه. رعشة لذيذة تنتابها عندما ترى Online !

***

كرسي هزاز.. سيجارة مضطربة لم تشتعل بعد، وريق يجري.

بعد سلام سريع وعدة تعليمات وردود متبادلة لضبط

الصوت والصورة، ها هو يراها على سريرهما!

***

من خلف سحب الدخان تراه. تكاد تشمُّ دخان سيجارته وقد فتح قميصه كاشفًا صدره المشعر. اللحية الطويلة دخيلة على صورته في خيالها فتحاول تناسيها.

***

- واحشاني (وتمر أمام عينيه صور متلاحقة لكل العاريات اللاتي تفحصهن بضغطاته على الريموت كنترول سرًا).

- واحشني قوي (تضغط على آخر كلمة وقد اقتحمت ذاكرتها نظرات جارها المثيرة وكلمات زميلها في المدرسة المغازلة في شبه تصريح).

- بحبِّك.

- بحبَّك.

- اخلعي!

يخلع قميصه ويفصل الصوت عنها ويشغل مقطوعة ساكس.

لا يرد على اعتراضها الهامس. تراه وقد خلع فتستجيب ووجه زميلها لم يغب بعد!

يدفع عجلة استثارته وقد رآها في قميص النوم القصير الذي يفضله. يتلمَّس ذراعها ويشرع في تقبيلها. تجده يقرب فمه من الكاميرا فتفعل.

يقبلها والصورة مشوشة في خيالها!

يتمادى في عريه كلما أوغل بخياله.

تتعرى.. يهتز كرسيه..

مستلقيةً على سرير اللهفة تتداعى عليها الصور..

يقترب..

تركز تفكيرها فيه عنوة..

طرقات هنا وهناك..

ينتهي، وتنفصل الصور أمامها مرة أخرى وتميِّز جارها وزميلها ولا تراه.

الطرقات تزداد..

يقوم وقد ابتلت وسادته..

تقوم وقد ابتلت وسادتها من أعلى!

اثنين من يناير

***

وسط الحقل يثبِّتونه، وبعد دق آخر مسمار في جسمه الخشبي يصيحون:

نريد جلبابًا فضفاضًا كي يبدو مهيبًا!

كانت الطيور تتابع الموقف باستهزاء

لكنها في اليوم التالي لم تقترب خوفًا منه!

***

أســرةٌ صَغِيـرة

الأم:

تضع "الحوَّاية" فوق رأسها وترفع أسطوانة البوتجاز الفارغة، وتهبط درجات السلم ممسكة بالدرابزين. جثة الأسانسير عن يسارها تذكِّرها أنها في الطابق العاشر فتتعبها الفكرة!

الأب:

ينتهي من تلميع الحذاء الصغير ليبدو جديدًا ويُدخله في قدم طفله الشارد. يُدخل يديه في حقيبة الظهر التي يتمنى أن تستره ولا ينقطع الحزام ككل مرة.

يُخرج الكيس الأسود من مخبئه ويفكر: هل توصيله لابنه إلى المدرسة سيسعده أم...؟

الابن:

يتحسس حقيبته ويتأكد من وجود الألعاب بداخلها. يحاول مساعدة أمه لكن الاسطوانة ثقيلة.

يسلِّم على أبيه ويخرج.

***

منظرها لم يعد غريبًا عليهم: امرأة بجلباب رجل.. لا يهم.

تجتمع بهم في المخزن المليء باسطوانات البوتاجاز.

- ها.. هننزل بيهم امتى؟ أنا زهقت م القعدة.

تنهره بغضب: اخرس ياله.. اتقل يومين وهنزل الانبوبة بتلاتين.

- تلاتين؟ ده كتير.

- كلنا عندنا عيال في المدارس.. خلينا نرزق (تقولها بصدق متذكرة ابنها).

***

منظره لم يعد غريبًا عليه. اعتاده من كثرة المعايشة. يرفع النقاب ليخفي جزءًا أكبر من عينيه!

بعد أن وزّع الورق على ركاب الأتوبيس جمعه مع بعض العملات المعدنية. وهو واقف في الأتوبيس ينتظر للنزول في المحطة التالية أحس بشيء ما. تحرك للأمام قليلاً، لكن الشيء يطارده. صرخ في صمت ولم يدرِ ماذا يفعل.

هل يستمر في الصمت أم يفضح نفسه؟!

***

منظره كان مثيرًا لإحداهن فتوقفت عنده، وبصوتٍ مستعار تسأله: حد يلعب في السوق؟

أجابها بنظرة بؤس. الصوت يحاول التماسك والتمادي في اللعبة: مارحتش المدرسة ليه؟

ينظر لها. يرى عينين يحيط بهما السواد. ذعرٌ طفوليٌّ

ينتابه فينطق وكأنما يعترف: أمي بتشيل الأنابيب التقيلة لسكان العمارة وأبويا شقيان.

الصوت المنتقب لم يعد قادرًا على التمثيل: أمك شقيانة وابوك تعبان عشان تروح المدرسة وانت بتلعب هنا؟

يدافع الطفل عن نفسه: مش بلعب.. أنا ببيع.

تتفحص اليد المرتدية قفازًا أسود. الألعاب المكسرة والقديمة التي كانت لأولاد سكان العمارة قبل أن يهدوها إليه.

- بتبيع إيه؟

- ببيع اللعب دي.. تشتري؟؟

خميس من أكتوبر

حَـاجَـــة

يتعالى النداء: بيكيا.

تستدرُّ ريقًا جف، وصدرًا ضنَّ على الصغار. تضغط ثديها بشدة لتعصره فتنزل قطرة مؤلمة تبلل جزءًا من كسرات الخبز في الطبق الذي يتطلع إليه أطفالها.

- بيكيا.

النداء يفتح أبواب الأمل المميت!

تنظر في عينيه نظرة أخفت شفقتها وأظهرت حزمها. ينظر في عينيها ويتحول إلى أطفاله ثم إلى الأرض.

تبلل يدها ببعض الماء من الكوز الصدئ وتمسح على بقايا شعره ولحيته المسترسلة. تعدِّل من وضع ياقة الجلباب الذي اجتهدت في غسله.

حاملةً رضيعها تسحبه وتخرج.

- بيكيا.. أي حاجة للبيع.

تنادي عليه فيتوقف الحمار الجارُّ للعربة. ينزل من العربة فيظهر قصره ممسكًا كرباجًا طويلًا بلون البالطو الذي يرتديه: نعم؟

تبتسم له وهي تحاول فرد قوام زوجها الواهن.

بنظرة قرف وهزة رأس أفقية يصلها رفضه.

- لا يغرك منظره.. إنه فقط نتيجة لعدم الأكل لأيام. أتعرف؟

لو أكل ستراه على حقيقته قويًا فتيًا قادرًا على أي عمل.

لا ترى تأثيرًا لكلامها عليه فتكمل: كما أنه فحل. ادخل لأُريك عدد أطفالنا. خذه ربما يعجب إحداهن -تصمت لحظة- أو أحدهم.

يستمر في هز رأسه فلا تيأس: إن اعضاءه كلها سليمة. خذه بأي ثمن. إن...

يقاطعها: لديهم فائض من أمثاله وأفضل منه، في النقلة السابقة اشتريت مثيله ولم أجد له بَيْعة وعدت به.

تتوسل إليه: أرجوك، ليس لدينا طحين وقد جفّ صدري.

متطلعًا إليها وإلى صدرها.

- أنا؟ والأطفال؟

- إذا لم يكن أنتِ فاعطيني أحدهم. ربما...

- لا، يكفي ابني الذي اشتريته الأسبوع الماضي. خذ زوجي بأي ثمن أرجوك.

- موافق بشرط.

- موافقة.

- لن أدفع لكِ إلا بعد بيعه.

يركب الأب العربة بالمقلوب مدلدِلًا ساقيه العاريتين. تتحاشى النظر إليه والعربة تبتعد، ويبتعد الصوت.

- أي حاجة للبيع.

يدقُّ التاجر الباب، فيفتح الحراس لتتحرك العربة خارج أسوار الحارة.

سبت من يناير

***

كيف عاشَ سيدُنا آدم بدون أصدقاء؟!

***

خَلفَ هـذا العَالم

تشبَّع قلبي إيمانًا بعظمة الرب، حيثُ إنه يعلمُ "كلَّ شيء» .. وأدركتُ أنَّ بعضَ الجهلِ نِعمَة!

***

جئت هنا لأنني.. لأنني لست إلهًا!

فكرت في الذهاب لأحد أقراني لكني خشيت انكشاف أمري.. وأمرهم!

ذات مرة، فاتحت أحد الزملاء ملمِّحًا بفكرة ذهاب أمثالنا للاعتراف. وجدته ينتفض رعبًا ويزجرني محذرًا إياي من ترديد مثل هذه الهرطقات!

إذن، لا مفر من الاستمرار في أداء نفس الدور حتى النهاية، حتمٌ عليك أن تظل صندوق أسرار متحركًا للأبد!

- أريد ممارسة بشريتي.

- لا تمسح تلك الهالة المقدسة بيدك والتزم الصمت المقدس!

أتعرف؟ عندما كنت أرى الرجلين يتعانقان بمودة في مثل تلك المناسبات، ويكون كل منهما قد أتاني من قبل يبث حقده وكرهه للآخر، ويحكي كيف أن هذا الآخر يكيد له وأنه أكثر إنسان يكرهه على وجه الأرض؟ عندها كنت أضحك. ضحكت كثيرًا طوال حياتي، لكن هذه المرة لم أستطع الضحك.. هذه المـ ...

يتذكر فيبتل وجهه وينحبس صوته العجوز.

- يكفي هذا اليوم ولنكمل في المرة القادمة.

***

- قل لي يا دكتور: هل دموع الإنسان تختلف في تركيبها الكيميائي حسب الحالة أو الموقف؟ أنا أعتقد، ودموعها أكبر دليل. لقد كانت مختلفة. دموع فرحها ليلة عُرس ابنتها كان لها بريق مختلف عن تلك التي كانت تقابلني بها عند الاعتراف، تلك الدموع التي ما زلت أذكرها. أهي الحالة أم مرور تلك السنوات هو السبب؟

ربما تتعجب كيف عرفتها بعد مرور ما يقرب من عشرين عامًا، رغم مرور مئات الوجوه وآلاف العَبَرات وملايين الخطايا أمام عيني، وأنا أسمع وأردد كلماتي المحفوظة بآلية. لكَ حق أن تتعجب لكوني أذكرها، لكنك لا تنسى امرأة.. امرأة اهتز لها قلبك. نعم، امرأة عندما دمعتْ تمنيتُ أن أمدَّ يدي المتحمسة لأمسح دموعها المتلألئة في عينيها الرائعتين، لكنني لم أفعل مكتفيًا بأداء دوري النمطي. أتعرف؟ عندما حكت مصيبتها حسدتُ ذلك الآخر الذي أخطأتْ معه، ومن أعماقي عذرته. ولو أتاني لسامحته على الفور وطلبت له المغفرة من الرب! أعرفت الآن لماذا لم أنسها؟

لا يريدون تصديق أني بشر.. مثلهم!

آخر مرة رأيتُها اعترفتْ لي بتوابع خطيئتها التي تتحرك في أحشائها. حكت عن زوجها المخدوع والدموع تغسلها. ولم أرَها

من يومها إلا في هذا العرس الذي لا أعرف لماذا حضرتُه؟

إنه القدر!

رأيتُها وسألتُ، فعرفتُ أنها أم العروس. ما زالت تحمل الكثير من السحر والفتنة رغم السنين. عاود أذني صوتها المتحشرج وهي تعترف وشككت في الأمر. وتأكدتُ عندما رأتني ورأيتُ الفزع يغطي ملامحها. ثم وجدت نظرتها تحمل الرجاء المنكسر قبل أن تفرَّ هاربة وتختفي عن ناظري!

ربطتُ الأحداث وتكونت لديَّ صورة استبشعتها. سألت عن والد العروس -أو من يعتقد ذلك- فوجدته سعيدًا يقبِّل العروس ويحيي الحضور ببشر. ماذا لو عرف الحقيقة؟

وأين ذلك الآخر الذي حسدته يومًا؟ ربما يكون أحد هؤلاء. أيعرف أن من تُزفُّ اليوم هي ابنته؟ وإن كان يعرف، ما هو شعوره الآن؟

وهذا الوالد المزعوم المسكين، أليس من حقه أن يعرف؟ لكن، كيف أخبره أنه قضى عمره في وهم؟ أيمكن أن يعيش الإنسان طيلة حياته في وهم؟ كيف يكون كل شيء وهمًا حتى أنبل المشاعر وأقدسها؟!

إنقاذ هذا الرجل الطيب من أوهامه ضرورة، والحفاظ على السلام الاجتماعي ربما يكون ضرورة أكبر. إنه سعيد الآن، كيف أتعسه؟ الكل سعيد يحتفل. كيف أشوِّه هذا العالم؟ الوهم جميل، لماذا تريد تشويهه بسيف الحقيقة!

«الحقيقة».. كلنا يسعى نحوها، وبعضنا يندم على وصوله إليها!

رأسي! .. كم هو مؤلم معرفة «كل شيء»!

ظلت الأفكار تصارعني حتى جاءت اللحظة الحاسمة وأعلن زميلي مراسم الزواج ووصل إلى:

«فليتكلم الآن وإلا فليصمت إلى الأبد»

ها.. هل أتكلم، أم أصمت للأبد؟ خرجت مني صرخة تحمل حطام أفكاري المتصارعة. ساعتها ظهرت لي فجأة كل الوجوه التي مرت عليَّ: بعضها ينظر بذعر، وبعضها بتهديد، وبعضها بخجل. أنظر لهم بتحدٍّ صارخًا بخطاياهم، وهم يصرخون محاولين تشتيت صوتي. أصرخ أكثر، وهم يدورون حولي.. يدورون بسرعة.. السرعة تزداد وقد بُحَّ صوتي..

تختفي الوجوه وتصمت الأصوات.

بعد أن أفقتُ سألتهم عما قلت. أجابوا بأني ظللت أهذي مرددًا: الصندوق امتلأ وفاض.. الصندوق ملَّ اللعبة!

- والعرس؟

- انتهى بسلام!

جمعة من يونيو

ثَـأرٌ قـَدِيـم

. في البَدْءِ كانَ البَياضُ صَفاءً وسكينةً. غشيَني النُورُ وصَارتْ الحَرارةُ داخلي برْدًا وسَلامًا .

***

هربًا من الموت وطئتَ أرض المحروسة. إنه دورك في سلسلة القتل اللامنتهية حسب العادات. يختارون الأعظم كي تكون المصيبة أعظم لأهل القتيل، ولم يجدوا أفضل من المتعلم المتنوِّر خريج الجامعة كي يطفئوا بدمه نار حقدهم الملتهبة. بعتَ أرضك بالكَفْر وهربتَ لواذًا بالزحام الستَّار، لكنهم بالتأكيد خلفك، وأكَّد ذلك -في اتصاله الأخير- أخوك الذي أنقذه جهله من القتل!

***

. اخترتُ الطَاعةَ واجتهدتُ فارتقيْتُ. انتقلتُ من عَالمي الحُرِّ إلى عالمِ السَمْعِ والطاعَةِ. الفارقُ بَيْن العَالَمَيْن كبيرٌ رغْمَ أنه لا يفصْلهُمَا سوى حرفٍ .

***

«قالوا الحرامي الناصح يستخبى في القسم» كان تعليق أخيك عندما أخبرتَه أنك اخترتَ السُّكنى في المقابر بعد أن أعياك البحث عن مكان بها.. مكان ربما لا يعرفه القاهريون أنفسهم. أردتَ أن تعتاده.. أن تتعايش معه بدلًا من القلق الدائم منه!

***

. تأثرُوا بي حَتى إنهُم اعترضُوا -في خَوفٍ- عندما أخبرَهم

بقدومِه.: لكنْ بعدَها غلبَتهم طبيعتُهم وغلبَتْني طَبيعَتي. صَار البَياضُ فراغًا وملَلًا. اعترضتُ ولمْ يجْرؤ، فافترَقنا.

***

كان لا بد أن تعمل. فضَّلتَ أن تعمل حرًا حتى لا يطلب أحد بياناتك وتكون هدفًا سهلًا. أسستَ شركة مع صديق من أيام الجامعة. تشارك في الإدارة لكن كل الأوراق باسمه. اخترتَ مكان الشركة بعناية عند كوبري الجامعة في أكثر مكان آمن بمصر!

***

. الخلودُ: الرغبَةُ الأزَليةُ للجمِيعِ.. كانَ المُكافأةَ عندَما أتيْتُ باختِياري، وكانَ رَجَائيَ الوحيدَ والأخيرَ بعدَ طرْدي، ولمْ أجدْ إغراءً أفضلَ كيْ أخدَعَ ذلِكَ الضيفَ الساذجَ اللَّعِين .

***

رغم كل احتياطاتك الأمنية إلا أنك تشعر به يطاردك بلا ملل. تشعر بلهيب أنفاسه يتابعك.. يعدو خلفك.. يجعلك تجري. ما أتعسك وأنت تتوقع في كل لحظة رصاصة تأتيك من اللااتجاه. تستعد لذلك دومًا وتحلق الشعر الزائد بأنحاء جسدك. جسدك تتذكره فيعلو نداؤك: يا طلبة الطب حنانكم!

***

. آهٍ يا صَديقي القديمُ أتُراكَ تذكُرُني؟ نظراتُكَ لحظةَ الفرَاقِ مَا زلتُ أذْكُرها. بمَاذا كُنتَ تفكرُ في قلبِكَ ليُكلِّفَك بتلكَ المُهمةِ

العَظيمةِ واللذيذةِ .

***

أحلامك: كوابيس تقتل فيها وأخرى جنسية. عندما نصحك صديقك بالزواج لماذا صمتَّ ولم تخبره أنك لا تستطيع أن تتزوج أرملتك!

***

.آهٍ لوْ تخبرُني بمَنْ كُلفتَ بهِ من أعْدائي قبلَهَا بسَاعةٍ، سَاعةٍ واحدةٍ فقطْ.. أكثِّفُ جُهودي مَعهُ ليَشهدَ لي ويَدْخلَ إلى مَلكوتي مبدلًا نهايتَه .

***

في حفلات السفارة الخمر والنساء كما تشاء. غواية سهلة. لا تسأل عادة عن سبب الاحتفال لكنك تعرف بالصدفة "قيام الدولة" و"النكبة" كما قرأت في لافتات طلبة الجامعة. يحتفلون بالقتل. غواية وموت! يمنعك خوفك وتتساءل: ماذا لو متُّ الآن وأنا أتبادل النخب مع تلك الغانية المتَّشحة بملابس السهرة؟!

***

.الحقُّ والحقَّ أقولُ.. أعترفُ أني أحسدُك يا صَديقي. لقدْ نلتَ الحسنييْن: الحياةُ الأبديةُ معَ أهْلِ النورِ، والانتقامُ منَ الضَّيْفِ اللعِينِ في نفسِ الوقتِ .

ترى ما هُو شعورُهم لحْظتَها وما هو شعورُك وأنتَ تفعلُها؟

ها.. المأساةُ أنكَ ستفعلُها معَ نفسِك في النهايةِ .

***

صحوتَ الفجرَ على غير عادتك. اتجهتَ للمسجد القريب. شواهدُ القبور أكفٌّ متضرعة. نسيم الفجر يملأ روحك بمشاعر مختلطة. الفجر.. مزيجُ الظلامِ والنور.. الموتِ والحياة. صليتَ ثم دعوتَ الله كثيرًا. بكيتَ وبكيتَ كما لم تفعلها قبلًا «اللهم إن كان تقديمي لكفني خيرٌ لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري فاقدره لي ويسِّره»

***

علموا بقدومه في الكفر:

أخوه راودته نفسُه بفكرة قتله قبل أن يفعلَها ويجلبَ العار

وعدوه راودته نفسُه بفكرة قتله قبل وصوله إليهم

لكن هواجس -لا يعلم مصدرها ألحَّت على أخيه- جعلته يرقُّ وتغلبه مشاعر الأخوة

وهواجس مشابهة ألحَّت على عدوه جعلته يؤوب ويفضِّل عارهم على القتل!

أحد من أبريل

***

ماتستنّاش حد يقدملك الفجر على طبق من فضة

قوم صرَّخ

صحِّي الشمس من نومها

مش يمكن تكون انت..

جودو

أو المهدي

وانت مش عارف!

***

قِطٌّ وفَـأر

(1)

يأتي من اليمين فأهرب للشمال
يأتي من شمالي فأهرب للأمام
وأفكر: لماذا أهرب منه رغم أن كيده ضعيف كما تعلمت؟!
أواجهه، فيواجهني بالسؤال: ألا تريد الخلود؟
أهرب من السؤال بقوة أكبر
لكن بعد مواجهة أخرى وهروبين.. آكل من الشجرة!

(2)

أنام في سلام فيأتي ليزعجني.. أطارده فيهرب
أعود للنوم فيأتي ليزعجني.. أطارده فيهرب
وأعود للنوم ويأتي ليزعجني
غاضبًا تركت له بيتي فأقام فيه
حاولت طرده ففشلت
حاربته ولم أخسر
حاربني ولم أخسر
سالَمْتُه فخسرت!

(3)

أبدأ في رسم وجه حبيبتي على الحائط فيأتي الجنود ويحملونني لفرعون الذي يصرخ في وجهي: كيف ترسم وجهًا غير وجه ربك؟!

أجري هاربًا وأمسك كتابًا، وعلى صفحةٍ بيضاء به أرسم استدارة وجهها، لكن جنود التتار يخطفون الكتاب ويلقون به في النهر ويطاردونني.

أهرب، وعلى كراسة الرسم أخطُّ عينيها
لكن المدرس الإنجليزي يمزق الصفحة طاردًا إياي
أكمل رسم أنفها على أسفلت الشارع
لكن دبابات العسكر تمحوه وتطاردني
أنتهي من رسم فمها وشعرها المنطلق في كل اتجاه، لكن ذوي اللحى يَطْلون الحائط ويزيلون رسمي
أشكِّلها بأنفاسي في الهواء وأجري
لتكون صورتها في كل مكان

لكنهم لا يملُّون مطاردة الهواء!

خميس من سبتمبر

رَقصَةُ الطِّيـن

ينجح في فرملة خطواته النزقة بالتشبث بباب المنزل، قبل أن يخطو أولى خطواته في الشارع.

- ما هذا ؟ متى أمطرت؟

المنظر يستدعي لديه فكرة العودة لفراشه الوثير واستكمال رحلته في عالم الأحلام، لكنَّ ربطة العنق التي تعب في تعلم طريقة ربطها، والطاقم الذي كلَّت يده في كيِّه ذكَّراه بموعده مع المدير: تبًا لكل المواعيد الهامة! تلك الاتفاقات التي نبرمها مع الآخرين سواء برضانا أو مجبرين، وتجعل من يومنا العادي البسيط يومًا قلقًا!

وكأن أحدهم قد دفعه من الخلف كانت أولى خطواته التي قطع بها تردده. مبتغاه في تلك اللحظة طريق جاف يحافظ به على هيئته المهيبة. البلكونات مظلة ممتدة جيدة لكن لا مفر من العبور للشارع الكبير. يعبر مضحيًا بحذائه: عندما أصل المصلحة يمكنني تنظيفه.

مكوِّرًا ذيل بنطاله في جوربه يسير متحسسًا خطاه متَّبعًا مسار أحدهم ممن يحاولون المحافظة على أنفسهم. بين انطباق شفتيه واتساع نظرته كانت حالته عندما مرت سيارة طائشة مسرعة!

نالت من بنطلونه الأسود. يستعذب سيل السباب الذي صبَّه

الجميع على سائق السيارة المتهور-ابن الكلب-. يُخرج منديلًا محاولًا مسح لطع الطين لكن آثارها تصر على الإعلان عن نفسها مؤرقة إياه! مصاحبًا الحذر يكمل خطاه. يلفت انتباهه ذلك الطفل الذي يستمتع بالسير وسط الطين ويعبث بالمياه المتجمعة في الحفر، وذلك المجذوب الذي يهرول بعصاه غير عابئ بالوحل!

يتوقف بتوقف الدليل فيجد تجمُّعًا مائيًا كبيرًا يسد الطريق. طرطشةٌ حِوارية تصل لأذنيه:

لا مفر، لا بد من العودة والدوران من الشارع المجاور.. ليس هناك حل آخر.

يعود الجميع.. يختفي الدليل.. وهو ثابت.. لا يهم، لا مانع من المغامرة.. ربما يكون الماء ضحلًا. يقترب.. يخطو بضع خطوات مستطلعة، وفجأة تنزلق قدمه ويهوي في الماء حتى ركبته.

لا يترك فرصة للندم ويكمل خطاه في الماء الذي وصلت آثاره إلى قميصه الأبيض وربطة عنقه المنقطة. يزور مخيلته منظر المجذوب اللامبالي فيسير وشعورٌ طارئٌ بالنشوة يغمره وقد نسيه الحذر. ينظر باستهزاء للخائفين من الطين على جانبي الطريق. يتعمد ضرب الماء بقدمه المتسخة فيتناثر الرذاذ ولطع الطين على السائرين حذرًا. يستمتع بصراخهم وسبابهم. تُسكره اللذة من رؤية آثار الطين التي سبَّبها لهم. يجري فاردًا جناحيه: ما أحلى الحرية.. ما أمتع هذا التناغم الجميل مع الحياة.. سحقًا

للخوف والحذر! مستكملًا لعبته يلطِّخ يديه بالطين ويمسحها في أحدهم: حذار! وفي آخر: أسرع، لقد تأخرت. يجري ضاحكًا.

يخرج سيجارة ويشعلها نافثًا دخانها في السماء. التعب يبدأ في النيل منه فيبطئ مدندنًا لحنًا يحفظه: تارا تا رتت تتاه. تلفظ سيجارته أنفاسها مع اقترابه من المصلحة. تنسحب النشوة رويدًا عندما تقع عيناه على أحد زملائه يمسح آثار الطين من حذائه وذيل البنطلون.

- إنه يرتدي حلة كاملة.. نظيفة!!

يحاول التردد فلا يجد فرصة.

وكأن أحدهم يجذبه.. يدخل المصلحة كي يوقِّع في كشف الحضور.

خميس من يونيو

قائمة المحتويات

المرآة

خيال المآتة

آدم

جودو

المؤلف : طارق رمضان عبد الكريم.

تخرج في كلية الهندسة- جامعة القاهرة 1998

كاتب قصة قصيرة وسيناريست.

- عضو جماعة مغامير الأدبية و رئيسها خلال العام 2012/2013.
- صدرت له مجموعة قصصية بعنوان «موت أداة الاستثناء» عام 2008 عن دار اكتب للنشر والتوزيع.
- متاحة إلكترونيًا:

على أبجد:

http://www.abjjad.com/book/15455630

جود ريدز:

http://www.goodreads.com/book/show/9559637?auto_login_attempted=true

- عضو مؤسس في فريق «نهار خارجي» للسينما المستقلة.
- قناة الفريق على يوتيوب:

https://www.youtube.com/channel/UCZwD6RbJWxWIGNJp1n46KoQ

- كتب وأخرج فيلمي "شاب» و «جار» (فيلم روائي قصير).
- عمل كمساعد مخرج مع الفريق في فيلم "اقتباس» (فيلم روائي قصير).
- كتب السيناريو لفيلم «رقم16» (فيلم روائي قصير).
- شارك في لجنة تحكيم مسابقة جماعة مغامير للقصة القصيرة بالتعاون مع مركز كرمة ابن هانئ الثقافي.
- نُشرت له العديد من القصص في الصحف والمجلات.
- حصل على عدد من الجوائز منها المركز الأول في مسابقة مكتبة الإسكندرية للقصة القصيرة.

للتواصل

مدونة في صحتك: http://fisehetak.blogspot.com/

البريد الإلكتروني: tarekkkom@hotmail.com

حساب الفيسبوك: https://www.facebook.com/tarekkom

